محاضرة بعنوان:

«منهج السلف الصالح وعوامل تحقيقه وآثارها»

لفَضِيلَةُ الشَّيْخِ

أ.د: سليمان بن سليم اللّه الرحيلي

غَفَرَ اللّٰهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِمَشَايِخِهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ

بسم الله الرحمن الرحيم

منهج السَّلَف الصالح

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلهِ نَحْمَدُهُ تَعَالَىٰ ونَسْتَعِينُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ، ونَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا ومِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ ومَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورَسُولُهُ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ولَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ وخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا ونِسَاءً واتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ والْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ويَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ومَنْ يُطِعِ اللَّهَ ورَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠- ٧١].

وبَعْد؛

فإن أحسنَ الحديث كتابُ الله، وخيرَ الهدي هديُ مُحَمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشرَ الأمورِ محدثاتها، وكل محدثةٍ بدعة، وكل بدعةٍ ضلالة، وكل ضلالةٍ في النَّار.

ثم أيها الفضلاء؛ إن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ خلق الناس ليعمروا الأرض بأعظم عمارة، وليحفظوا الضروريات الخمس: الدين والأنفس والعقول والأعراض والأموال، وليحققوا المصالح ويدرؤوا المفاسد، ورأس ذلك كله وإمامه وقوامه: توحيد رب العالمين، قال ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦)﴾ [الذاريات: ٥٦]، وبعث الله عَزَّ وَجَلَّ الرسل مبشرين ومنذرين ومبينين ومعلمين، يأمرون الناس بعبادة الله وينهونهم عن عبادة الطاغوت، ويُبينون لهم شرعه، قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وجعل لكل نبي شرعة ومنهاجًا، فكان دين الأنبياء واحدًا وكانت شرائعهم مختلفة.

وختم الله عَزَّ وَجَلَّ الأنبياء بخيرهم وأشرفهم وأفضلهم وأكملهم محمد بن عبد الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بعثه الله مبشرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، فبلغ الرسالة وأدّى الأمانة وجاهد في الله حق الجهاد، وأكمل الله له الدين، وأكمل به الدين، وأتم له وللمؤمنين النعمة، وأتم به النعمة، ورضي بما جاء به دينًا، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

أتاه الله عَزَّ وَجَلَّ نورين جامعين عظيمين: أنزل عليه القرآن، وأتاه السنة والحكمة مع القرآن، ومات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد أن بلغ الرسالة، ودخل الناس في دين الله أفواجًا، وتركنا على البيضاء ليلها كنهارها، من التزمها اهتدى، ومن زاغ عنها ضل وهلك، وبعد موت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قام الصحابة الأخيار بسياسة الناس وتعليم الناس، فقاموا بأعباء الحكم والعلم، وساروا على ما في الكتاب والسنة بالفهم السليم لآيات الله ولسنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكان المنهج القويم والطريق المستقيم قائمًا في زمنهم رضوان الله عليهم، وفي آخر زمن الصحابة ظهر أقوام ليسوا من الصحابة، ظنوا أنهم أغير على دين الله من صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنهم أفهم لدين الله من صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فتركوا منهج الصحابة وأحدثوا منهجًا زاغًا، وأفهامًا مضطربة، فظهرت فرقة القدرية الذين هم مجوس هذه الأمة، وظهرت فرقة الخوارج الذين هم كلاب أهل النار، وبقيت الجماعة الغالبة على منهج صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إلا أنهم عن بعدهم عن عهد الصحابة واندراس نور العلم عند كثير من الناس، تعدد المخالفات، وكثرت الفرق، وبقيت الفرقة الناجية، والطائفة المنصورة على ما عهده رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الصحابة وعهده الصحابة إلى الأمة، بقيت متمسكة بما كان عليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والصحابة، ومتمسكة بالجماعة، وفي زماننا هذا الذي نعيشه تعددت الفرق المخالفة لمنهج السلف الصالح رضوان الله عليهم، وصار منهج السلف يتعرض إلى تشويه عظيم، وصار أعلام السلف يستهدفون بالسب والشتم والتلقيب بالألقاب المنفرة، وتشويه منهج السلف في زماننا عند بعض الناس.

يعود إلى واحد من أمور ثلاثة:

الأول: عدم معرفة منهج السلف، فأولئك الأقوام الذين يتنقصون منهج السلف ويشتمون السلفيين ما عرفوا منهج السلف، وإنما يتكلمون عن مسخ مشوه في عقولهم وعلمهم وعن تصور عندهم، منهج السلف منه براء.

والسبب الثاني: قوم صرفوا عن الحق، وأشربوا أهوائهم، فلا يرون نور الحق، ويحسبون ظلمة الفرق نورًا، فهم فاسدون في فكرهم، فاسدون في قصدهم، يشوهون منهج السلف أمام العامة قصدًا، ويكذبون لأنهم يرون أن الكذب من أجل تحقيق المصلحة بزعمهم جائز شرعًا.

وأما السبب الثالث: فهو أخطاء بعض من ينتسبون إلى منهج السلف، فيراها بعض الناس فيظنونها من منهج السلف، وليست منه، ولا يدعو إليها منهج السلف، ولكنها أخطاء لأصحابها، وهذا يقتضي منها أن نُبين منهج السلف، أن نُبين حقيقته، وأن نُبين نوره الساطع، وأن نقرر ذلك، وأن نكرر ذلك، ومن هنا كانت هذه المحاضرة التي تلقى على أسماعكم معاشر الفضلاء نرجو بها أن نثبت أنفسنا وإخواننا العارفين بمنهج السلف على هذا المنهج الرشيد، وأن ندل من لم يعرف منهج السلف على حقيقة منهج السلف، وأن نقيم الحجة على أولئك المخالفين المترصدين لهذا المنهج وأهله.

معاشر الفضلاء عندما نقول: منهج السلف، فعندنا كلمة المنهج، وعندنا كلمة السلف، وعندنا منهج السلف، فما معنى المنهج؟ وما هو المنهج؟ ومن هم السلف؟ وما هو منهج السلف؟ نبدأ بكلمة المنهج، والمنهج بين العلماء معناه، يقول الشيخ المربي الناصح الشيخ محمد أمان الجامي رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رحمة واسعة، كان رَحِمَهُ اللَّهُ من العلماء المربين، كان يحرص في مجالسه في مسجد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أن يعتني طلاب العلم بما يعنيهم وألا يشتغلوا بما ليس لهم، كان يعلم ويربي رَحِمَهُ اللَّهُ رحمة واسعة.

يقول: المنهج لغة: الطريق الواضح، يقال: نهج الشيء أي وضح، ونهج الطريق إذا اتضح، كما يطلق النهج على سلوك المسلك، فيقال: نهج فلان نهج فلان، أي: سلك مسلكه، هذا خلاصة ما ذكره رَحِمَهُ اللَّهُ، فالمنهج في لغة العرب هو الطريق الواضح، وسلوك ذلك الطَّرِيقِ.

وأما من حيث الاصطلاح عند علمائنا: فقد بينه الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بقوله: المنهج في الاصطلاح: الطريق الواضح الذي سار عليهم المسلمون الأولون في دينهم عقيدة وشريعة وسلوكًا

وأخلاقًا وجميع نواحي الحياة، يقصد الشيخ المنهج الصحيح في اصطلاح العلماء هو هذا المنهج الطريق الواضح البين، من الذي وضحه؟ وضحه ربنا في كتابه، ورسولنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سنته، وجلاه الصحابة بحسن فهمهم رضوان الله عليهم، الذي سار عليه المسلمون الأولون في دينهم عمومًا عقيدة وشريعة وسلوكًا وأخلاقًا، وجميع نواحي الحياة، هذا هو المنهج الصحيح، وهو منهج السلف الصالح رضوان الله عليهم الذين يسيرون على سبيل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي وضحه الله غاية الوضوح.

فقال سبحانه: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠٨)﴾ [يوسف: ١٠٨]، قل يا محمد قل يا نبينا هذه، وهذه من أسماء الإشارة، والإشارة تكون إلى الموجود، هذا الذي بينته سبيلي، خلاصته: أني أدعو إلى الله، فأنا مخلص في دعوتي ولا أدعو إلى عصبية ولا إلى حزبية، وإنما أدعو إلى الله على بصيرة على علم ونور، أنا ومن ابتعني فهذا شأن من كان صادقًا في اتباعي، وسبحان الله فدعوتي وسبيلي كلها تنزيه لله عما لا يليق بجلاله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وما أنا من المشركين فأنا موحد أحقق التوحيد وأدعوا إلى التوحيد وما أنا من المشركين، وهذا هو صراط الله المستقيم الذي قال فيه سبحانه: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٥٣)﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وهذا المنهج الصحيح الرشيد يحتاج سالكه ومتطلبه إلىٰ ثلاثة أمور:

الأمر الأول: العلم، أن يعلم هذا المنهج بالرجوع إلى الكتاب والسنة وآثار السلف.

والأمر الثاني: السلوك، أن يسلك هذا الطريق، ويلزمه، كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قل آمنت بالله ثم استقم**».

والأمر الثالث: أن يثبت على هذا الطريق، فإن هذا الطريق ليس طريق زخارف الدنيا، ليس طريق الجماهيرية، وليس طريق كثرة الأتباع، وليس طريق زهرة الدنيا، وإنما هو طريق من يريد وجه الله، من يعلم أن الدنيا كلها لا تساوي شيئًا في الآخرة، فيثبت ويسأل الله الثبات، وهذا يدخل في قراءته لقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦)﴾ [الفاتحة: ٦]، اهدنا إليه علمًا، واهدنا إليه سلوكًا، واهدنا إليه ثباتًا، هذه الأمور الثلاثة يحتاجها من يريد هذا المنهج، كم من شخص يخالف منهج السلف

ويتردى في البدع، ويتقلب مع أهل الأهواء، لأنه ما علم منهج السلف، وكم من شخص علم لكن ما لزم، فخالف وهو يعلم، وهذا أشر وأضر من الأول، وكم من شخص علم منهج السلف وسلك منهج السلف وتعلم على مشايخ منهج السلف، لكنه لم يثبت، بل تلون وصار عدوًا لمنهج السلف، يزعم أنه على منهج السلف، ويعادي منهج السلف، ويشوه منهج السلف، ينسب نفسه إلى المشايخ الكبار أئمة منهج السلف في زماننا، وكان يتعلم عندهم فعلًا، وكان يسلك المنهج في حياتهم، لكنه بعد موتهم تطلب أن يكون الشيخ، وأن يكون المقدم، ورأى أنه إن سار على ما عليه شيخه سيساوي زملائه، بل من زملائه من يتفوق عليه، فعلم أنه لم يكون له أتباع حتى يحدث، فأحدث وسقط عن هذا الطريق الطيب، وزاد عن الأولين أنه يغش الأمة بزعمه أن هذا منهج السلف، وأن هذا طريق شيخه الذي تعلم عليه، وهو كاذب في ذلك.

وأما الكلمة الثانية: وهي السلف، فما معناها؟ يقول الشيخ محمد أمان رَحِمَهُ اللَّهُ: السلف لغة: من سلف، والسين واللام والفاء أصل يدل على تقدم وسبق، ومن ذلك السلف الذين مضوا وسبقوا ومتقدمون، الشيخ أخذ هذا من مقاييس اللغة لابن فارس رحمهم الله، والسلف الكلام للشيخ: هم القوم المتقدمون السابقون، لأن كلمة: سلف، تدل على تقدم وسبق، إذًا معاني كلمة السلف في لغة العرب تدور على التقدم والسبق والمضي، فالسالف هو الذي سبقك، وهو الذي مضى قبلك.

وأما السلف في الاصطلاح: فهذه الكلمة تطلق بإطلاقين: فإطلاق عام وإطلاق خاص، أما الإطلاق العام فالسلف كل من تقدمنا من علماء أهل السنة والجماعة، كل من تقدمنا من علماء أهل السنة والجماعة هم سلف لنا، هم سلف، الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ سلف من السلف، الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ من السلف، الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ من السلف، الشيخ الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ من السلف، الشيخ ابن حيدان رَحِمَهُ اللَّهُ من السلف إلى الإمام أحمد إلى الصحابة رضوان الله عليهم، يسمون سلفًا، وهذا المعنى عام، وأما المعنى الخاص وهو المراد بقولنا: منهج السلف الصالح، يعني هو المراد بقولنا: منهج السلف الصالح.

فإن السلف هنا يقيدون بمدة من الزمن، فبعض العلماء قصر السلف على زمن الصحابة رضوان الله عليهم، وقال: السلف هم الصحابة، أما غيرهم ممن اتبعهم فهم أتباع السلف، فالناس على هذا

ثلاثة أقسام: سلف هم الصحابة، وأتباع السلف وهم الذين ساروا على طريق الصحابة، وخلف وهم الذين خالفوا طريق الصحابة، عندنا سلف هم الصحابة، عندنا أتباع السلف هم الذين ساروا على طريق الصحابة، عندنا خلف هم الذين خالفوا طريق الصحابة، وقال بعض العلماء: إن السلف هم أهل القرن الأول، يعني الصحابة ومن أدرك الصحابة في ذلك القرن، عاش في ذلك القرن، فهم الصحابة والتابعون، وقال بعض أهل العلم: السلف الذين نتبع منهجهم هم أهل القرون الثلاثة الأول، لأنها القرون التي فضلها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: «**خير القرون قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**».

ولكن هؤلاء يقيدون من بعض الصحابة بأن يكون موافقًا للصحابة، لأن معلوم يا إخوة كما قلنا: في آخر زمن الصحابة ظهر أقوام في القرن الأول لكنهم خالفوا الصحابة، كالقدرية مثلًا والخوارج، هؤلاء ليسوا من السلف وإن عاشوا في القرن الأول، وكذلك في القرن الثاني والقرن الثالث، هذا يقيد بمن كان موافقة للصحابة رضوان الله عليهم، والذي يظهر لي والله أعلم أن أصل السلف هم الصحابة، أصل السلف الذين نتقيد بمنهجهم هم الصحابة رضوان الله عليهم، وأن التابعين وتابع التابعين من خيرة أتباع السلف، ونقصد أنهم أتباع للسلف ومن السلف أتباعًا، أصل السلف الصحابة، من جاء بعدهم من التابعين هم تابعون للصحابة، وهم بالنسبة لنا سلف لأتباعهم الصحابة، وقدوة لنا، وسلف لنا، وكذلك من جاء بعدهم من أئمة أهل السنة والجماعة، فإنهم أتباع للسلف من جهة الأصل، وهم من السلف من جهة الأتباع، وهم لنا قدوة، ولنا سلف وأسوة، إذًا الميزان للسلف هم صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهم أصل السلف، ومن بعده سلف باعتبار الاتباع، الاتباع لهم، وهذا الذي يظهر من كلام أئمة المنهج السلفي من المتقدمين والمتأخرين، يقول الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ مثلًا: أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والاقتداء بهم، فهنا الإمام أحمد ذكر أصل السلف، وهم صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويقول السفاريني: المراد بمذهب السلف ما كان عليه الصحابة الكرام رضوان الله عليهم، وأعيان التابعين لهم بإحسان، وأتباعهم، وأئمة الدين ممن شهد له بالإمامة، وعرف عِظم شأنه في الدين، وتلقى الناس كلامهم خلفًا عن سلف.

هنا يُبين ما قررناه من أن الميزان والأصل هم الصحابة، ومن بعدهم يكون من السلف باعتبار الاتباع لهم بإحسان، والمقصود بمنهج السلف الصالح: التمسك بما كان عليه صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومن تبعهم بإحسان من أئمة الدين، فإن اتفقوا لزمنا ما اتفقوا عليه، وإن اختلفوا رجحنا بين أقوالهم، وأخذنا الأقوى دليلًا مع معرفة فضل الآخر، وإن كانت المسألة حادثة بعد الصحابة والتابعين فإنا ننظر في الكلام الأئمة المعتبرين، فإن اتفقوا أخذنا بكلامهم، وإن اختلفوا أخذنا الراجح بالدليل، ويحصل لنا بهذا منهج السلف الصالح رضوان الله عليهم، ونرجع في هذا إلى منهج أئمة الدين وفهمهم وطريقهم، إذا كان ذلك كذلك فهل يلزم من سلك منهج السلف أن ينسب نفسه وأن يقول أنا سلفي وإلا ما كان سلفيًا؟

الجواب: لا يلزم، فإن العبرة بالحقيقة لا بالاسم، فمن كان سائرًا على منهج السلف ملتزمًا منهج السلف فهو السلفي، وإن لم يتسمى بهذا، بل قد تدعو المصلحة أحيانًا إلى ألا ينسب نفسه إلى السلف، مثلًا بعض إخواننا في بعض البلدان لو عُلم أنه على منهج السلف ربما أُذي، فلو قال: أنا سلفي أو على السلفية ربما أُذي في هذا، فهنا المصلحة ألا يتسمى وألا ينتسب، لكنه يسلك ويلتزم ما يترك منهج السلف الصالح رضوان الله عليهم، إذًا كان ذلك كذلك فهل يعاب من نسب نفسه إلى السلف؟ ومن انتسب إلى السلف؟ ومن قال: إني سلفي؟ وهل ينكر عليه؟ وهل يذم بهذا؟ وهل يعد بهذا مزكيًا نفسه التزكية المحرمة؟

والجواب: أن المستقر عند أهل العلم أهل المنهج السلفي أن هذا اللقب لقب شريف يصح إطلاقه على الجماعة فيقالك الجماعة السلفية، وعلى الفرض، فيقال: فلان سلفي أو يقول الإنسان عن نفسه: سلفي، بشرط: أن يكون ذلك صادقًا، لا أن يكون دعوى لا تؤيدها الحقيقة، وعلى هذا صار العلماء، فإنا نجد في تراجم بعض العلماء أنه يوصف بالسلفي، كما ورد عند الذهبي في سير أعلام النبلاء، وممن ذكرهم الذهبي بهذا اللقب الدار قطني، وذكر غيره، ولا زال علماءنا على هذا الأمر، فنجد من مشايخنا من يقول: الشيخ ابن باز العالم السلفي، الشيخ ابن عثيمين العالم السلفي، الشيخ صالح الفوزان حفظه الله العالم السلفي، فلا عيب في هذا الانتساب، بل هذا انتساب شريف، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: لا عيب على من أظهر مذهب السلف وانتسب إليه، واعتزى إليه، بل يجب قبول ذلك منه، فإن مذهب السلف لا يكون إلا حقًا، وسُئل إمام العصر سماحة الشيخ ابن

باز رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ما تقول فيمن تسمى بالسلفي أو الأثري هل هي تزكية؟ فأجاب رَحِمَهُ اللَّهُ: إذا كان صادقًا أنه أثري أو سلفي فلا بأس، مثلما كان السلف يقولون: فلان سلفي، وفلان أثري.

يعني أن المهم الثقة، فإن كان صادقًا فلا بأس من أن يقول: أنا سلفي، أو أنا أثري، وقالت اللجنة الدائمة للإفتاء برئاسة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: السلفية لقب صالح فهو لقب محمود، ليس لقبًا مذمومًا، كما يزعمون أعني أولئك القوم الذين يعيرون من ينتسب إلى السلفية، إنه لقب صالح، ولم يكن ذلك اللقب موجودًا بكثرة في صدر الإسلام، لأن بعض الناس من مكره يقول: أنتم تقولون: نتمسك بمنهج الصحابة، ما كان هذا اللقب عند الصحابة، نقول: إن اللقب إنما يستعمل للتمييز، وفي زمن الصحابة ما كان هناك إلا سلفي، وإنما حدث في الفرقة والفرق في آخر زمن الصحابة رضوان الله عليهم، فلما ظهرت الفرق صار السلف يطلقون هذا اللقب، ومن جميل ما سمعت سُئل معالي الشيخ صالح آل الشيخ حفظه الله عندما يسألني شخص ويقول: هل أنت سلفي ماذا أرد عليه؟ فأجاب: ارفع رأسك وقل: أنا سلفي وأفتخر، السلفي معناه: أنا مع من سلف مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصحابته الكرام، انتهى، أي والله إنه فخر أن تكون مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لازمًا سنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أن تكون مع أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، أن تكون مع صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وسُئل العلامة السلفي الألباني رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فقيل: يدعي بعض الناس أنه لا يجوز للمسلم الذي يتبع منهج السلف أن يقول عن نفسه إنه سلفي؛ لأنه بهذا يزكي نفسه، وتزكية النفس لا تجوز، فأجاب: نسأله، أي هذا المعترض، هل أنت مسلم؟ سيقول: نعم، فنقول: هذه تزكية.

هذا رجل لا يفقه ما هي السلفية، حتى يقول: إن هذه تزكية، السلفية هي الإسلام الصحيح، فمن يقول عن نفسه: أنا مسلم، وأنا ديني الإسلام كالذي يقول اليوم: أنا سلفي، وهذا أمر ضروري جدًا بالنسبة للشباب المسلم اليوم، لأنه بين أن الذي يُميز اليوم هي هذه النسبة، أهل السنة والجماعة يدعيها أقوام، وإن كان الأحق بها أهل منهج السلف، التمسك بالكتاب والسنة يدعيه أقوام، وإن كان الصادقون في ذلك أهل منهج السلف، لكن أنا سلفي، هذا لقب مميز، وقد ذكر رَحِمَهُ اللَّهُ أعني الألباني أن كلمة سلفي كلمة جامعة مميزة، تدل على أن الإنسان مسلم على الكتاب والسنة ومنهج السلف، ومن أبرز ما يظهر به السلفي ويتميز عن غيره، معاشر الإخوة إن السلفي يظهر ويتميز بأمور معالمها

الكبرى أن يكون معظمًا للكتاب والسنة، جاعلًا لهما حاكمين على كل شيء، ويكون وقافًا عندهما، ويفهمهما بفهم الصحابة، وأن يكون متمسكًا بعقيدة السلف الصالح رضوان الله عليهم، لا يغير ولا يبدل، يأخذ عقيدته من المأثور من كتاب الله ومن سنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومما ثبت وصح عن السلف الصالح من الصحابة الكرام، والتابعين الفخام.

وأن يلتزم تحقيق كمال التوحيد الواجب، ويسعى في تحقيق كمال التوحيد المستحب، من علامات السلفي المميزة له عن غيره: أنه يلتزم أن يحقق كمال التوحيد الواجب بتوحيد الله في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته والقيام بالفرائض ما استطاع واجتناب المحرمات، هذا يلتزمه، ويسعى جاهدًا في تحقيق كمال التوحيد المستحب، هذه صفة ظاهرة في السلف، ومن معالم ما يتميز به السلفي: أن يلزم في سيره إلى الله سنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويحذر البدع ويحذر من أن يعمل عملًا ليس عليه أمر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، السلفي من علاماته الواضحة أنك تجده محبًا للسنة، معظمًا للسنة، متمسكًا في عباداته بالسنة، مبغضًا للبدع، حذرًا من البدع، حذرًا من أن يعمل ولو عملًا يتقرب به إلى الله ليس عليه أمر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن يكون متمسكًا بأصول السنة الثابتة التي كتبها أئمة أهل السنة، كالإمام أحمد، وأن يثبت على ذلك لا يغير ولا يبدل، ولا يترك شيئًا منها، وأن يسير الوسطية الشرعية الحقة، ويتمسك بها، ويحذر الغلو والتشدد والتكلف والتساهل والتمييع، السلفي يُميزه أنك تجده وسطيًا، وسطيًا على مراد الله عَزَّ وَجَلَّ، وعلى ما سار عليه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يحذر التشدد والغلو والتنطع والتكلف، ويحذر التساهل والتمييع، يكون على الوسطية التي كان عليها صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

السلفي يُميز ويظهر وتعرفه من بين الناس بأن يلزم الجماعة الدينية والدنيوية، ولا يرغب عنها، ويعتقد أن من فارق الجماعة فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه، وكان ضالًا مضلًا، فإن مات على ذلك مات ميتة جاهلية، ومع لزومه الجماعة بنفسه يحرص على حفظ الجماعة، ويعد حفظ الجماعة فرضًا من فرائض الدين، سواء في ذلك جماعة الدين بالكينونة على ما كان عليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والصحابة، أو جماعة الأبدان، ومن هذا أنك تجده يحرص على معاملة رأس الجماعة الدنيوية ولي الأمر المعاملة الشرعية، ويؤدي إليه حقوقه ويبرأ من طريقة أهل الأهواء والبدع في معاملة الحاكم، من علامات ومعالم السلف التي يتميز بها أنك تجد يبغض الحزبيات المفرقة، ويبرأ إلى الله منها، ويعتصم

بالحق وينصره، ويحب أهله، يحب أهل الأثر والسنة، ويترحم عليهم، ويستغفر لهم ولا يقع فيهم، يقول الصابوني في عقيدة السلف: وإحدى علامات أهل السنة حبهم لأئمة السنة، وعلمائها وأمصارها وأوليائها، وقد زين الله سبحانه قلوب أهل السنة ونورها بحب علماء السنة فضلًا منه ومنة.

السلفي يتميز عن غيره بمعلم أنه لا يحزب الناس على شخص، مهما كان فضله، ومهما على علمه، غير رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لا يحزب الناس على منطقة فيها الهدى وغيرها فيه الضلال، ولا يحصر السلفية في أشخاص معينين محصورين أو بلد محصور، ويجب أن نعلم أيها الأفاضل أن تحزيب الناس على شخص يعتقد أن الحق أفرغ في قلبه، وأجري على لسانه، فلا يقول إلا حقًا، وأن من خالفه خالف الحق، أو حصر السلفية في أشخاص بأعيانهم، وهجر غيرهم ممن عرف بالسلفية والسنة أن هذا نوع من الحزبية، وللأسف انزلق فيه أناس من الرجال والنساء يريدون الخير ويريدون السلفية، لكنهم انزلقوا في هذه الحزبية الخفية، حتى أنه يبلغنا أن بعضهم يأتي المدينة ولا يحضر الدروس في المسجد النبوي، بل منهم من يقول: لا أمر بجوار تلك الدروس خوفًا من الشبهات، هذا في دروس المشايخ السلفيين الذين عرفوا بالسلفية، يقولون هذا.

بل بلغنا أن هناك من يقول: إن الإمام صالح الفوزان حفظه الله ليس من أئمة السلف، وإنما هو عالم فقيه، نأخذ عنه العلم والفقيه ولا نأخذ عنه السلفية، لم؟ لأنهم حصروا السلفية في أشخاص قليلين محصورين، فحجروا واسعًا، وحجموا السلفية، وخالفوا طريقة السلف الصالح رضوان الله عليهم، ووقعوا في الظلم والبهتان، وانزلقوا في الحزبية وهم لا يشعرون، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: لا ينتصر لشخص انتصارًا مطلقًا عامًا إلا لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا لطائفة انتصارًا مطلقًا عامًا إلا للصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، فإن الهدى يدور مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيث دار، ويدور مع أصحابه دون أصحاب غيره حيث داروا، من معالم ما يُميز السلفي عن غيره: أنك تجد ثابتًا على الحق، واضحًا فيه غير متلون، ولا متقلب.

يقول حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إن الضلالة كل الضلالة، إن الضلالة كل الضلالة أن تعرف ما كنت تنكر أو تنكر ما كنت تعرف، وإياك والتلون في دين الله، فدين الله واحد، إن الضلالة كل الضلالة أن تكون غير ثابت على الحق، أن تكون متقلبًا، فمرة تقول عن الشيء: هذا معروف وأصل سلفي، ومرة

تقول: هذا منكر وأصل خلفي، والشيء واحد، والأمر واحد، وما جد جديد، وإياك والتلون، احذر التقلب فإن الحق واحد، وجاء عن الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ أنه قال: الداء العضال التنقيل في الدين.

وجاء عن بعض العلماء أنه قال: من تمسك بالسنة ثبت، ومن ترك السنة أكثر التنقل، الذي لا يكون صادقًا بالتمسك بالسنة أو لا يتمسك بالسنة أصلًا تجده كثير التنقل، كثير التقلب، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: وبالجملة فالثبات والاستقرار في أهل الحديث والسنة أضعاف أضعاف أضعاف ما هو عند أهل الكلام، إذا عرفنا هذا فما حكم الأخذ بمنهج السلف؟ هل الأخذ بمنهج السلف فرض لازم أو فضيلة اختيارية أو بدعة محدثة؟

والجواب: لا شك ولا ريب في أن الأخذ بمنهج أهل السنة والجماعة فريضة شرعية وضرورة واقعية لا خير للأمة إلا في الأخذ بمذهب السلف، والسير على منهج السلف رضوان الله عَلَيْهِمْ.

يقول ابن قدامة: ثبت وجوب اتباع السلف بالكتاب والسنة والْإِجْمَاع.

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: والصواب في جميع مسائل النزاع ما كان عليه السلف من الصحابة والتابعين وقولهم هو الذي يدل عليه الكتاب والسنة والعقل الصريح، ويقول الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: نرى أن الأمة الإسلامية يجب أن تكون حزبًا واحدًا على منهج الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه.

ووقوف الأئمة على ما كان عليه السلف وأمرهم بذلك أكثر من أن يحصى، قال إبراهيم النخعي رَحِمَهُ اللَّهُ: لو بلغني عن الصحابة أنهم لم يجاوزوا بالوضوء ظفرًا ما جاوزته، وكفى بالقوم وزرًا أن تخالف أعمالهم أعمال أصحاب نبيهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال الأوزاعي رَحِمَهُ اللَّهُ: عليك بآثار من سلف، وإن رفضك الناس، وإياك وآراء الرجال وإن زخرفوه لك بالقول، فإن الأمر ينجلي وأنت على طريق مستقيم، سُبْحَانَ اللَّهِ عليك بآثار من سلف، ألزم وإن رفضك الناس، هذا قديم، التمسك بمنهج السلف يعاديه كثير من الناس للأسباب التي قدمناها، لكن لا عليك، فإنك على الحق المبين، وأنت أمة ولو كنت واحدًا، وإياك وآراء الرجال وإن زخرفوه لك بالقول، فإن الأمر ينجلي، هذه فتن وقرون تقطع، ثم ينجلي الأمر بأن الحق ما كان عليه السلف، وأن الحق مع ما كان يتمسك بمنهج السلف رضوان الله عليهم، وقال أيضًا الأوزاعي: العلم ما جاء عن أصحاب محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ وما لم يجئ عنهم فليس بعلم، وقال: اصبر نفسك على السنة، وقف حيث وقف القوم، وقل بما قالوا، وكف عما كفوا عنه، واسلك سبيل سلف الصالح، فإنه يسعك ما وسعهم أو وسعهم.

والله ما لم تسعه السنة فلا وسع الله له، والعلماء قد ذكروا أدلة كثيرة من الكتاب والسنة والإجماع والمعقول على وجوب لزوم منهج السلف الصالح رضوان الله عليهم، ونحن نطويها الآن لضيق الوقت، وقد قررناها سابقًا، وذكرناه في محاضرة سابقة عن منهج السلف الصالح رضوان الله عليهم، معاشر الفضلاء إن التمسك بمنهج السلف الصالح رضوان الله عليهم دين يحبه الله، ويحب أهله، وله آثار عظيمة تعود على الفرد والمجتمع، من لزم منهج السلف الصالح يجد من الخير والنور والآثار ما لا يحصى من آثار التمسك بمنهج السلف أنه سفينة النجاة، فالنجاة من الفتن، ومن الشبهات، ومن الشهوات، ومن وصائد الشيطان، وخطوات الشيطان في سنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما عليه السلف المهديون الراشدون، ولذلك قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فإن من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ**».

قال الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ: السنة سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها هلك، ولا شك يا إخوة أن الدنيا طوفان متلاطم الأمواج، في كل زمان، وهي في زماننا أشد، ولا بد للإنسان من مركب يسير فيه حتى يكون آمنًا، وينجو من الغرق، ولا أمنة، ولا نجاة إلا بلزوم غرز رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما كان عليه السلف، وهذا هو الذي حققه أتباع السلف الصالح رضوان الله عليهم والسنة نور يتضح به الطريق، وينكشف بها الحق، ومن آثار الأخذ بمنهج السلف الصالح: حفظ دين الناس ببيان العلم النافع ونشر السنة، والقيام بواجب الكشف عن البدع المضلة، والرد على أهلها، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: ومثل أئمة البدع من أهل المقالات المخالفة للكتاب والسنة أو العبادات المخالفة للكتاب والسنة، فإن بيان حالهم وتحذير الأمة منهم واجب باتفاق المسلمين، حتى قيل لأحمد بن حنبل: الرجل يصوم ويصلي ويعتكف أحب إليك أو يتكلم في أهل البدع؟ يعني أيهما أحب إليك رجل عابد لكنه لا يتكلم في أهل البدع أو رجل يتكلم في أهل البدع، فقال الإمام أحمد: إذا صام وصلى واعتكف فإنما هو لنفسه، وإذا تكلم في أهل البدع فإنما هو للمسلمين، هذا

أفضل، يعني ليس من باب التفضيل، هذا طيب وهذا طيب، وإنما الذي يتكلم في أهل البدع أفضل من ذاك العابد الذي ينقطع للعبادة؛ لأن نفع الذي يقوم على الدين متعدي للمسلمين، ولا سيما في زماننا الذي كثر فيه المزورون، وكثر المغررون بالمسلمين، يحببون إليهم الباطل ويبغضونهم في الخير.

ولو لم يقف أهل الخير أهل منهج السلف في وجوههم لو سكت الأخيار لضاع دين العامة، واختطف دين العامة، فالقيام بالمنهج السلفي كما قال به الأئمة وكما قام به من أدركناهم من مشايخنا وسلمونا منهج السلف نقيًا فيه حفظ دين الناس، وفيه إقامة الحجة، وفيه دفع الباطل، وأنا أرى أن هذا من أعلى مراتب الجهاد في سبيل الله اليوم، ومن أجلى أنواع الجهاد في سبيل الله اليوم، الأخذ بمنهج السلف الصالح فيه حفظ ضروريات الناس، وحفظ مصالحهم، ودفع المفاسد عنهم، الأخذ بمنهج السلف الصالح يا إخوة فيه أمنة للكل، فيه أمنة للراعي، وأمنة للرعية، أمنة للجماعة، وأمنة للأفراد، ولهذا عندما نرى أمثالكم من الذين يتمسكون بمنهج السلف الصالح رضوان الله عليهم تمتلأ قلوبنا أملًا، وبعد:

فيا معاشر السلفيين في كل مكان من شيوخهم وطلاب العلم منهم وعوامهم، يا ملح كل بلد، ويا شموس النهار، ويا بدور الليل، يا أمنة المجتمعات إننا نرى في أيامنا هذه أن أهل الأهواء والبدع والباطل يتآزرون ويتعاضدون ويتنادون للوقوف في وجوهكم لأنهم يدركون أنه لا يحول بينهم وبين اختطاف دين الناس، وإفساد دنياهم إلا أنتم بفضل الله عَزَّ وَجَلَّ، فاحذروا الفرقة، واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا، واعلموا أن التنافس قد يقود إلى التحاسد ثم التفرق والتباغض، فكونوا حذيرين من هذا، فقد روى مسلم في الصحيح أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إذا فتحت عليكم فارس والروم أي قوم أنت؟**» قال عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: نقول كما أمرنا الله، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أو غير ذلك؟ تتنافسون ثم تتحاسدون ثم تتدابرون ثم تتباغضون**»، فالحذر الحذر فإن الحسد آفة مفرقة، ومسببة للبغضاء، فإياكم والتنافس الذي يقود إلى ذلك، تعاونوا على نشر العلم النافع، ونشر منهج السلف وكسر البدع، وإذا أخطأ أحدكم وكلنا خطاؤون ليراجع الحق، فإن الحق قديم والرجوع إليه عز وشرف.

وإن اختلفتم فاعلموا أن خيركم من سعى إلى إنهاء النزاع، وقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وخيرهم الذي يبدأ بالسلام»، وقد سألنا شيخنا الشيخ صالح الفوزان حفظه الله: ماذا نفعل بهذه الأحداث التي تقع بين السلفيين؟ فقال: ما كان منها يدفن فيجب دفنه، ادفنوه، ولا تثيروه، وليتنازل كل واحد منكم لأخيه، وما لا يمكن دفنه فعالجوه، ووالله إن المسائل لو صدقنا الله يسهل حلها، ولا يوجد شيء لا يمكن حله إلا أن يكون مما يحتمله النزاع، فالله الله معاشر السلفيين إن الأمة اليوم أحوج ما تكون إليكم، وإن أهل الباطل أقوى ما يكونون ضدكم اليوم، فتعانوا وتعاضدوا، ولا يعق بعضكم بعضًا، واحرصوا على الخير لعلكم تفلحون، هذا ما تيسر إيراده في هذا الوقت، لكن أسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يجعل في ذلك خيرًا وبركة، وأن يجعل في ذلك نفعًا ونصرة للمؤمنين والمؤمنات في كل مكان.

واللهُ تَعَالَىٰ أَعْلَىٰ أَعْلَمُ.

وَصَلَّ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا وَسَلَّمَ